

## لحظة حب

الدكتور عادل صادق  
أخصائى الأمراض النفسية  
والعصبية

أدركت ما هو الحب.. هو دفعة  
القلب العنيفة فى لحظة مباغطة  
تستولى على روح الإنسان فيصبح  
عابداً.. معبوداً.. غازياً.. خاضعاً..  
منتصراً مستسلماً.

نرى الله فى ردود أفعالنا عند مواجهة الخطر عندها يلهمنا الله الصواب فنبتعد عما يؤذينا أو يضر بنا.. نرى الله فى لحظة قصيرة ربما أقل من الثانية.. تتحول إلى فيصل بين الحياة والموت.. ونردد من أعماقنا.. فى إيمان شديد.. سبحان الله.

فى حياة الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى والعصبى بكلية طب عين شمس حادثة وقعت له وهو فى سن العاشرة كان لها أبعد الأثر فى إعادة اكتشاف نفسه من جديد وبعثت لديه إيمانا من نوع خاص ألقى بظلاله على عقله بعد أن كان يؤمن بأحاسيسه ومشاعره فقط!

يتذكرها فيقول.. كعادة أهل الريف أو الصعيد تقوم الأسر المصرية فى إجازة المدارس باصطحاب أبنائهم إلى قراهم مسقط رأسهم ليقضوا أوقاتاً جميلة مع الجد والجدة وأولاد العم والخالة.

وذهبت إلى بلدتى بنى سويف مع أسرتى حيث قريتنا «بنى هارون» التى تبعد ٢ كيلو عن مدينة بنى سويف.. كانت متعتى الوحيدة فى تلك الإجازة هى الذهاب إلى مدينة بنى سويف حيث يوجد بها العديد من دور السينما.. وعدد من المقاهى حيث أقضى بها الساعات فى لهو وأعود إلى قريتى «بنى هارون».

لم يكن هناك وسيلة تصل بين مدينة بنى سويف وبلدتى إلا الطريق السريع الذى يمتد من الجيزة حتى أسوان وكان موازياً لهذا الطريق ترعة الإبراهيمية ويبلغ عرضها ثلث عرض النيل.. وموازياً لها أيضاً طريق السكك الحديدية، والتى على قضبانها لا تتوقف ليل نهار حركة القطارات السريعة ذهاباً وإياباً من الجيزة لأسوان. كانت هوايتى أن

أتجاهل الطريق السريع فى الذهاب والعودة وأسير على قضبان السكك الحديدية.. من مدينة بنى سويف وبعد ٢ كيلو أصل إلى كوبرى أقيم على ترعة الإبراهيمية يسير عليه قطار قديم بطيء يربط بين مدينة بنى سويف والقرى التى تقع على يمين الطريق السريع ومن بينها قريتي «بنى هارون» - وهى أول قرية تصادفه فى طريقه - كان هذا الكوبرى المقام ضيقاً للغاية لا يتسع إلا لمرور هذا القطار بالكاد..

كان عادل صادق يجد متعة فى السير على القواطع الخشبية التى وضعت بالعرض على الكوبرى والمثبت فوقها قضبان هذا القطار القديم.. وكان يستطيع أن يرى ترعة الإبراهيمية من بين فتحات تلك القواطع الخشبية.. كان إحساسه بهذه المتعة يحجب عن ذهن الصبى وعن عقله وفطنته أنه معرض للخطر.. إذا ما جاء القطار أثناء سيره على القضبان فى طريقه إلى قريته.. فلن يكون له مخرج إلا القفز فى الترعة - إذا ما فاجأه القطار - والموت غرقاً فهو لا يجيد العوم.

لم يفكر الصبى الصغير فى تلك المخاطر أثناء ذهابه وإيابه على ذلك الكوبرى.. حتى كان ذلك اليوم وهو فى طريق عودته من مدينة بنى سويف.. شىء ما ابتلع تفكيره واستغرقه.. ظل واستمر فى سيره عدة خطوات من الكوبرى المنشود ولكنه تجاوزه واستمر فى سيره عدة خطوات بعد الكوبرى وفجأة وصل إلى سمعه صفارة القطار استدار ليجد القطار يندفع بعجلاته على الكوبرى.. وإذا به يتخيل حجم الكارثة التى كانت ستحل به من ثوان.. الموت المحقق لا جدال فى ذلك.. إما الموت غرقاً أو اصطدام القطار به إذا سار على هذا الكوبرى خطوة واحدة.

يقول الدكتور صادق عن هذا الحدث (كأن نقطة مكثفة من الإيمان تسقط على عقلى.. أدركت أن هناك فرقا بين العقل والقلب.. فالعقل هو الرؤيا.. هو الاكتشاف.. هو الفهم.. فمن الذى جعلنى لا أسير فى ذلك الحين على الكوبرى .. هو «الله»).

وتمر الأيام.. وتتحول إلى سنوات تضاف إلى عمر الصبى عادل صادق فيصبح فى سن الثانية عشرة وتتفتح داخل النفس مشاعر من نوع آخر.. مع تدفق صوت أم كلثوم قيثاره الحب وتردد أغانيها تبعث فى قلب الصغير دويًا لا يدرك معناه.. ولكنه يحسه.. يشعر به.. كان عادل يشاهد أفلام الحب الرومانسية وعند مشاهدته لهذه الأفلام تتراقص مشاعره ويتسلل إليه إحساس ما لا يستوعبه وأيضاً عند قراءته قصص أرسين لوبين والحكايات الرومانسية بينه وبين بطلات الرواية ولكن كان لا يجد تفسير حتى رآها فى شرفة مقابلة لمنزله.. حيث كان يعيش عادل صادق فى حى المنيرة بشوارعها الضيقة وبيوتها المتلاصقة.. كان يفر دائماً من الوقوف بشرفة منزله.. فلا شيء تلذ له رؤيته.. حتى كان هذا اليوم من أيام فصل الصيف والشمس تكاد تتوارى خلف الأفق والهواء يبدأ فى نشر نسماته فترفرف فى الخلاء.. خرج عادل بالصدفة إلى شرفة منزله ورفع وجهه إلى أعلى وإذا بها أمامه.. فتاة فى العشرين من عمرها تقريباً.. فى جمال البدر وقت اكتماله، ظلت نظراته تلاحق هذا الجمال.. تسللت الكلمة على لسانه.. قال لها.. أحبك.. اندهشت الفتاة.. دق قلبه بعنف.. ردد بصوت خافت.. أحبك.. ابتسمت فقالها مرة ثالثة أحبك فضحكت واختفت.. لم يرها بعد ذلك.. ولكنه..

أدرك في سن الثانية عشرة.. ما هو الحب.. ما هو سر الإحساس الذى يحتاجه عندما يسمع أم كلثوم تشدو وسر المشاعر التى تتحرك بداخله عند قراءته القصص الرومانسية.. أدرك أن الحب.. دفعة القلب العنيفة فى لحظة مباغطة تستولى على روحك.. فتصبح لها عابداً معبوداً.. غازیاً خاضعاً.. منتصراً مستسلماً.. ويلعب القدر دوره بجدارة.. فيلون أيامنا كما يريد هو.. وكما يحلو له أن يكون..

ويتخرج عادل صادق فى سن الثانية والعشرين فى كلية الطب بتقدير مرتفع ويقرر التخصص فى الأمراض الباطنة والى كانت دائماً تستهويه.. حتى سقط صديق حميم له بين براثن المرض النفسى.. وقتها عرف كم يتعذب المريض النفسى.. وكم هى معقدة ومتشابكة النفس البشرية.. واختار من جديد طريق الطب النفسى ليكون مسلكه وترك الأمراض الباطنة..

ويأتى المنعطف الكبير فى حياة الدكتور عادل صادق ونقطة التحول المهمة.. عندما حصل على الدكتوراه وسافر إلى إنجلترا واستطاع الحصول على شهادتى دبلوم الطب النفسى وزمالة الكلية الملكية.. وتم ترشيحه لوظيفة مستشار بإحدى المستشفيات الجامعية هناك.. واتخذ قراره بالاستقالة كمدرس جامعى بمصر والإقامة بشكل دائم بلندن.. وكتب استقالته ليرسلها فى الصباح إلى مصر.. ودخل إلى سريره لينام مرتاح البال راضى النفس.. وإذا بجرس التليفون يدق بجواره.. ويأتى صوت مردداً أن والده أصيب بشلل.. ترك كل نجاحاته ومستقبله العريض بلندن وعاد إلى القاهرة.. إلى أبيه الذى يحتاجه بالفعل. وبعد ١٥ عاماً

مات والده.. أصيب الدكتور عادل باكتئاب شديد.. على الرغم من أن والده قعيد في السبعين من عمره وكان هو المسؤول عن رعايته.. إلا إنه كما يقول.. شعر بفقدان السند في الحياة.. فقد.. الأمان والحماية.. فالأم هي مصدر الحنان.. أما الأب.. فهو مصدر الحياة ذاتها.

